اللغة والأدب–مجلة علمية محكّمة
ISSN: 1111–1143 EISSN: 2602–5202
العدد: 34 ؛ المجلد: 19.؛ الشهر 12 السنة: 2022

Language and Literature
A peer-reviewed Scientific journal
Issued by
the Departement of Arabic Language
and Literature

اللغة والأدب

I.S.S.N: 1111–1143
E.I.S.S.N: 2602–5205

اللغة والأدب
مجلة علمية محكّمة
يصدرها
قسم اللغة العربية
وآدابها

اللغة في شبكة التواصل الاجتماعي:
بحث لساني–اجتماعي في أشكال الخطاب وتنوعاته

The Language in Social Media:
A Sociolinguistic Research in the Forms and variation of Discourse

أ.د. بشير إبرير
1 أستاذ دكتور، جامعة باجي مختار (عنابة/الجزائر)، قسم اللغة العربية وآدابها
الإيميل المهني للباحث الأول bachir.ibrir@yahoo.com

المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل:	الإيميل:
Bachir Ibrir	bachir.ibrir@yahoo.com
تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:
2019–03–25	2019–05–03

اللغة والأدب–مجلة علمية محكّمة
ISSN: 1111–1143 EISSN: 2602–5202
العدد: 34 ؛ المجلد: 19.؛ الشهر 12 السنة: 2022

الملخص: يعالج هذا الموضوع لغة التواصل الاجتماعي، من منظور اللسانيات الاجتماعية. ويبحث في أشكال الخطاب وتنوعاته بوصفها ممارسات اجتماعية تقتضي استعمالات لغوية محددة مرتبطة بأحداثٍ اجتماعية خاصة، تبرز في السياسة والإعلام والأدب والدين وغير ذلك...

الكلمات المفتاحية: لغة، تواصل اجتماعي، لسانيات، خطاب، أشكال، ممارسات اجتماعية.

Abstract: Ce sujet traite la langue dans les réseaux de la communication social , du point du vue de la sociolinguistique il examine les formes et les variation du discours en tant que pratiques sociaux nécessitant des utilisations linguistique spécifiques associées à des événements sociaux particuliers qui apparaissent dans la politique , les médias , la littérature , la religion , etc.

Keywords: do not exceed 5 words.

مقدمة:

شهدت الحياة المعاصرة، وتشهد تطورات متسارعة رهيبة في وسائل الإعلام والاتصال إلى درجة قصوى، أزيلت فيها معظم الحواجز الفاصلة بين الأفراد والمؤسسات والشعوب، وصارت المعلومات تتدفق بكثافة مع الأنترنيت وأجيال الحاسوب والهواتف المنقولة... بما توفره من جهد وسرعة في التواصل الفعال. كان من ثمرة ذلك التواصل الاجتماعي "الفايسبوك" الذي فتح كل الأبواب وأزال الحواجز المانعة من التواصل، الأمر الذي أدى إلى إيجاد علاقاتٍ كثيرة ومفاهيم جديدة للصداقة والأخلاق والقيم والحدود الجغرافية، والزمان والسرعة والبطء.

وأحدث مع ذلك أنواعا من الخطاب بأشكال مغايرة لما هو سائد، وأوجد استعمالات لغوية على مستوى الألفاظ والتراكيب والأساليب. ومكّن الأفراد من البوح بالسر والتصريح بالحقيقة وتفجير المكبوت. وإخراج المسكوت عنه من القوة والتمثل إلى الإنجاز بالفعل. وتحولت الهوامش الضيقة للحرية إلى فضاءات واسعة للقول. وصار السفر بلا جواز سفر عبر الفضاء الأزرق إلى ما لا نهاية، إلى درجة الانفلات أحيانا كثيرة، بواسطة الأنترنيت والفايسبوك والتويتر والفايبر والواتس آب... وغير ذلك.

إنها ثورة في مجال الإعلام والاتصال والرقمنة «مستفزة لنا...مفككة للمعايير التقليدية في الاقتصاد والثقافة والاجتماع»[1] وفي السياسة أيضا. فقد كان للتواصل الاجتماعي دور أساسي فاعل في تفجير ثورات مضادة ضد أنظمة سياسية عمّرت طويلا في عالمنا العربي. وحاولَ أن يبشر بغد جديد مختلف يستمع لنبض الشارع وتلبية احتياجاته المتعددة بإتقان وسرعة، بعيدا عن الخطب العصماء، والبيان الأخّاذ، والإيديولوجيا الضيقة المقيتة، والأنا المتضخمة؛ وإنما البلاغة والبيان هي قضاء الحاجة بسرعة وفاعلية، وبكيفية مؤسسة «على ما هو ميكرو–لا مرئي، من خلال الإرسال الرقمي وشبكة الألياف المتطورة.»[2] في قضاء الحاجة الاقتصادية المؤثرة في الحاجات الأخرى الثقافية والاجتماعية والسياسية... وخلف كل هذا توجد مصالح أباطرة المال وسماسرة البورصات والقوى المحركة والموظفة لها.

نحاول في هذا الموضوع، إجراء قراءة نركز فيها على قضية واحدة وهي: اللغة المستعملة في وسائل التواصل الاجتماعي ووسائطه، من يستعملها؟ وكيف يستعملها؟ ولماذا يستعملها؟ وما هي خصوصياتها؟ من حيث الألفاظ والتراكيب؟ وهل تُستعمل اللغة العربية الفصحى؟ أم الدارجة؟ أم اللغة الفرنسية؟ وما هي تنوعاتها وأشكال خطابها الدالة عليها. هل تتحكم فيها معايير وضوابط؟ هل تخضع إلى إكراهات معينة؟

سنحاول الإجابة عن بعض هذه الأسئلة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، مع الإشارة إى أن الموضوع منفتح على القراءة وتعددها، وعلى إبداء الرأي ونقيضه أيضا، لأن المدونة مفتوحة ومن الصعب حصرها مع أننا سنمثل بنماذج.

المحور الأول: مقاربة التحليل Approche d'analyse

اخترت ان أقارب الموضوع –كما هو مبين في العنوان– مقاربة لسانية–اجتماعية Approche socio-linguistique فنراها مدخلا مناسبا للتحليل لما تقدمه من نظر عميق للغة في مقامات استعمالها وأحوال خطابها، حررها تماما من النظر البنوي السكوني، ودفع بها إلى فضاءات المجتمع الرحبة، تدرسها من حيث الاستعمالات المتنوعة.

تتميز اللسانيات الاجتماعية بتعدد المعارف وتفاعلها وتمظهرها في خطاب واحد يصفها ويشرح معطياتها، من النواحي: المعرفية والمنهجية واللغوية. ومن ناحية منظومتها المفاهمية و الاصطلاحية الناطقة بها، لا تتحدد قواعد اللغة بصفة اعتباطية؛ وإنما توجد متغيرات ومعطيات اجتماعية–ثقافية Ssocio-culturelle، تكسب كل لغةٍ هويتها المميزة؛ فمفهوم المعنى يتأسس على العلاقة القائمة بين الأشكال اللغوية والسياق الاجتماعي Le contexte social الذي أنجزت فيه.

إن اللسانيات الاجتماعية ميدان معرفي مركب يجمع بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا واللسانيات[3] يبحث في الاستعمالات اللغوية المختلفة في مجموعة لسانية محددة، وتركز فيها عملية التحليل –برأي خليفة الميساوي– على وظائف اللغة واستعمالاتها في المجتمع والسياق الثقافي لانتاج الخطاب. وتعد اللسانيات الاجتماعية الخطاب إجراء اجتماعيا، ينتجه المجتمع وفق معايير معينة متحكمة في عمليات التحدث، وتجعلها مرتبطة بالإطار المكاني والزماني، ومن يتحدث وموضوع الحديث وطبيعة العلاقة الرابطة بين المشاركين في الحديث، وجنسهم ومستواهم التعليمي والاقتصادي وطبقتهم الاجتماعية.[4]

يرى فلوريان كولماس: أن موضوع اللسانيات الاجتماعية يتمثل في الترابطات الحاصلة بين استعمال اللغة والبنية الاجتماعية، فتصف الاستعمال اللغوي باعتباره ظاهرة اجتماعية، وجملة الروابط الموجودة بين اللغة والمجتمع.[5]

تهتم اللسانيات الاجتماعية بالوظائف التي تؤديها اللغة في المؤسسات الاجتماعية. وتعكس أعمال كثيرة الرغبة في فهم أفضل للطريقة التي تستعمل بها لتبيين التمايزات الاجتماعية، والتفاضلات في السلطة.[6]

ولأن اللسانيات الاجتماعية تبحث في اللغة والخطاب بوصفهما ممارسة اجتماعية بين الأفراد والمؤسسات في التعبير عن الأغراض وتبليغ المقاصد وقضاء الحاجة، فإنّ هذا ما تمثله لغة التواصل الاجتاعي التي تمثل معادلا موضوعيا للحياة الاجتماعية برمتها. إن الحياة مصورة بكل حيثياتها وخصوصياتها في وسائل التواصل الاجتماعي. واللغة هي التي تعبر عن ذلك وتصفه وتنقله بين الأفراد والمؤسسات، وتشير إليه وتنبه عنه وتنوه به، وتقوم ضده أحيانا... وتُفعّله حسب ما يقتضي المقام وما تفرضه المصلحة.

ولهذا نرى من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغةَ بعين الاعتبار... «يعني ذلك أن التركيز على اللغة، باستخدام شكل من أشكال تحليل الخطاب هو إحدى الطرق المنتجة في البحث الاجتماعي.»[7]

تتجلى لغة التواصل الاجتماعي في أشكال نصية وخطابية، وأصناف لسانية عديدة في الفعل والتفاعل، ولكل صنف خصوصياته التي تتحدد بالنظر إلى المستعملين له والأهداف التي يود تحقيقها أو الوصول إليها، وطرائق استعمالهم للغة في التعبير عن الأحداث الاجتماعية المختلفة.

يمكن الإشارة هنا إلى مقولة "مايكل هاليداي Michael Halliday" «النص/الخطاب شكل لساني للتفاعل الاجتماعي»[8]. وكما نعلم فإن هاليداي هو أحد تلاميذ "فيرث Furth" صاحب النظرية السياقية التي تبحث في الطابع الاجتماعي للغة وتعطيه أهمية واضحة في التحليل.

ونرى –في هذا المقام– إمكانية معالجة لغة التواصل الاجتماعي بخطاباتها المتنوعة وأشكالها وأنماطها وأصنافها اللسانية من منظور عابر للتخصصات Transdisciplinary «يجمل عدة منظورات حول اللغة والخطاب ضمن النظرية والبحث

الاجتماعيين، وذلك بهدف تنمية قدرتنا على تحليل النصـــوص كعناصر في سيرورات اجتماعية»[9].

عندما نتأمل لغة التواصـــل الاجتماعي نجدها حبلى بالخطابات ليس في مقدورنا أن نتطرق إليها كلها، فكل منها يصلح بحثًا بل أبحاثاً مسـتقلة. إنما اخترت أن أتناول بعضـها لتكون عينة جزئية حتى لا أقول تمثيلية، ندلل بها على نقول ومنها:

أولا– لغة الخطاب السياسي:

يعد منتوجا لغويا اجتماعيا تنتجه المؤسـسـة الفاعلة في المجتمع المتمثلة في الأحزاب الممارسـة للسـلطة والأحزاب الموالية لها والمعارضة، والأفراد المتابعين للشأن العام والمهتمين بالشأن السياسي بصـفة خاصـة. ويتجلى في أشـكال عديدة (خطابات، خطابات مضـــادة، وجهات نظر، ردود أفعال، تعاليق، ندوات...) تحاول استغلال الأحداث المختلفة التي تأخذ أبعادا سياسية مؤثرة داخليا وخارجيا مثلا: "قضـية عياش" التي أخذت أبعادا سـياسـية داخلية وخارجية بما في ذلك السلطة الحاكمة التي زكت الحدث حين أقالت والي الولاية التي حدثت فيها القضية، مستثمرة هي بدورها، الحدث بما يخدم مصـلحتها في التعامل مع الشـعب، وكيفية التواصـل مع فئاته الهشة بصفة خاصة.

كما أن هـذا الحـدث قـد أنتج خطـابات أخرى في السياسـة والأدب والإعلام، وأجج التواصـل بين المواطنين الجزائريين في أرجاء الوطن وخارجة من الناحية السياسية خاصة.

وكان للتواصـــل الاجتماعي دوره الفعال في ذلك، الأمر الـذي يجعلنا نعرفـه «بأنـه العمليـة التي تقوم خلالها قيـادة الأمـة وإعلامها ومواطنوها بإضـــفاء معنى على الرســائل المتعلقة بســير الســـياســـة العامة، ومن ثم تبادل هذا المعنى»[10]. يعني هذا أن للتواصـل دورا بالغ الأهمية في العملية السياسـية وتفعيلها من حيث كونها كلاماً جوهره السـياسـية، ونشـاطا تواصـليا يقوم فيه الناس باخراج خلافاتهم وتسويتها بواسطة التواصل.[11]

وهكذا يكون الخطاب السياسي: «بثا للرسائل التي لها أثر، أو يقصـد أن يكون لها أثر في توزيع أو اسـتخدام السـلطة في المجتمع.»[12]

يلاحظ المتبع للتواصـل الاجتماعي نشـاطا كبيرا خاصـا بالخطاب السـيـاســي في الجزائر؛ **إذ أن معظم الاهتمامات التي تخص الجزائريين هي اهتمامات سـياسـية بكيفية أو بأخرى.** وإن تجلت في أشـكالٍ أخرى من الخطاب (صـور، فيديوهاتـــ أغانٍ، أشعار، محاورات...) ويمكن أن نقدم الأمثلة الآتية:[13]

أ– "يبدو أن السياسية في بلدي الحبيب.
"مقدمتها كمؤخرتها."

ب– "نعم. لا وجه لها؛ دلاعة تتكركب في حدرة."

ج– هي مخلوق خرافي له رأسان و462 ذيل،
وبطن خارج الرقعة الترابية التي يقف فيها
هذا التنين."

د– "لا. مؤخرتها كمقدمتها وقفاها كوجهها وظهرها
كبطنها ورجلاها في رأسها."

هـ– "يرجى من السياسيين التقليل من الكلام حفاظا
على البيئة. أما نحن فقد اختنقنا."

و– "وصف على المقاس"

تعد هـذه الخطابات والنصـــوص أجزاء من الأحداث الاجتماعية، تعبر بصـفة خاصـة عن الأحداث السياسية بوصـفها ممارسـات اجتماعية ولغوية لا تقتصـر على الفاعلين السـياسـيين وحدهم؛ وإنما تمتد إلى كل المواطنين المهتمين بالشـأن السـياسـي، وذلك ما يُظهره التواصل الاجتماعي بوسائطه المتعددة.

تتعامل هـذه النماذج كلها مع مشـــكلة واحدة نعدها مهمة وتتمثل في محاولة تحديد **مفهوم السياسة** ووصـفها بأوصافٍ مختلفة؛ فكل واحد وصفها بطريقته المعبرة عن قناعاته.

فقد اسـتعمل النموذج "أ": الفعل "يبدو" وفيه كثير من الحـذر؛ فقـد يبـدو لبعض النـاس وهو منهم، وقـد لا يبـدو لأناس آخرين كذلك وهو ليس منهم. كما حدد علاقته بالبلد بالمضـــافة والمضـــاف إليه "**بلدي**" ثم وصـــفه "**بالحبيب**" دلالة على الانتماء وتأكيدا له وإلحاحا عليه. ثم يقدم وصـفًا للسـياسـة في هذا البلد الحبيب بأنها –بالرغم من ذلك– "**مقدمتها كمؤخرتها**"، وهو هنا يُشيّد معنى خاصا به، يصور السياسة بعدم الوضوح، وبأنّ **المقدمة**

والمؤخرة شـــيء واحد. **ونُشـــدد –هنا– على الدلالة الملغِمة لكلمة: "مؤخّرتها"**... وما تحمله من سخرية وما ترمز إليه.

ويتضـافر مع **النموذج "ب"**: في شـكل حوار سـاخر: "نعم. لا وجه لها، دلاعة تتكركب في حدرة." مؤكدا ما جاء في النموذج "أ" من وصـف، ويضـيف إليه وصـفا آخر قائلا: **"لا وجه لها"** نافيا لجنسها ومفسرا لذلك بأنها "دلاعة تتكركب في حدرة".

إن الدلاعة مدورة وحركتها غير مضـبوطة، وبخاصـة إذا كان المكان منحدرا، فإنها تفقد السيطرة على نفسها.

وبالرغم من كون الألفاظ المستعملة بسيطة، وهي أقرب إلى الدارجة **ولكنها مُشِـعَّة من حيث الدلالة المعبرة عن مقاصـد القائل.**

ثم يســتمر الحوار في **النموذج "ج"**: بتقدير أوصـاف جديدة للسياسة بأنها: "مخلوق خرافي له رأسان و462 ذيل...". لقد أصبح الوصـف هنا، كاريكاتيريا ويغمز ويلمز، ويلمح، ويومئ **بل ويصـرح بكيفية مجازية استعارية، مؤسـسـة على رؤيا عقلية تصـورية للواقع السـياسـي الجزائري وممارسـاته المختلفة خارج الرقعة الترابية وداخلها...**

يمثل هذا النموذج خطابا سـياسـيا مهما مدركا فعلا لما يدور في الحياة السياسية في بلادنا...

وجاء النموذج "د" متسـايرا مع النماذج الثلاثة السـابقة من حيث تركيزه على الموضـوع نفسـه وبلمسـة سـاخرة هو أيضـا. يظهر ذلك في اللغة المســتعملة. فإذا كان النموذج "ب" قد بدأ الحديث بـــ "نعم" فإن هذا النموذج قد بدأ الحديث بـــ "لا". وإذا كان النموذج الأول قد بدأ حديثه بـــ "مقدمتها" فإن هذا النموذج قـد بـدأ قـائلا: "لا. مؤخرتها كمقـدمتهـا وقفـاهـا كوجهـهـا وظهرهـا كبطنها ورجلاها في رأســها."، **وهو ما يؤكد كاريكاتيرية المشـهد السياسي وعبثيته والسخرية منه**؛ لأنه صـار لا يشبه شيئا، صـار فوضـى –للأسـف– ليسـت خلاقة، وبخاصـة عندما تنقلب القيم رأسا على عقب، وتتدنى الأخلاق السياسية وتصير دلاعة تتكركب في حدرة كما جاء في النموذج "ب".

وبالمختصـر المفيد فإن هذه الأوصـاف قد جاءت "**على المقاس**" كما في **النموذج "و"**.

تؤدي الأحداث السـياسـية بوصـفها أحداثا اجتماعية، إلى تغيير اللغة من حيث المفردات المستعملة والموظفة حسـب مقام الحدث السياسي الاجتماعي.

لقد «صارت الصور اللفظية المصدر الرئيس لفهم الواقع السـياسـي، وأسـاس العمل الرسمي أو عدم العمل، وأسـاس شـعور الشعب بالتفاؤل أو التشاؤم، بالرضا أو السخط حول سير الحياة السياسية.»(14)

يلاحظ المتتبع للخطاب السـياسـي في الجزائر كثيرا من الاسـتعمالات اللغوية، ألفاظا وتراكيب وأسـاليب خاصـة به دون غيره، صارت ميزة واضحة فيه.

وقد انتقلت إلى وسائط التواصل الاجتماعي التي راحت تعبر عنها بطرائق مختلفة في الوصـــف والنقد وأنماط التبادل؛ من حيث المعرفة والأداء، ومن حيث الوظائف الكلامية المتمثلة في الأقوال والأخبار والأسئلة والمطالب والعروض والرؤى والتطلعات.

وكل ذلك يظهر واضـــحا في اختيار الألفاظ والعبارات والتراكيب المناسبة حسب مقامات الاستعمال ونوعية الحدث التي تُظهِر بـدورهـا، النشـــاط الـذي يقوم بـه النـاس في قلـب الحيـاة الاجتماعية، وكيف يتجلى في ممارساتهم الكلامية الأساسية وكيف ينقلونه إلى "الفايسبوك"، وبذلك يمكننا الوصول إلى معرفة ما يفعله الناس بواسطة الكلمات وتصنيفه بالنظر إلى أشكال التفاعل بينهم وما يحدثه من تنوعات في الخطاب تُفصح عن ضروب من العلاقات والممارسات الاجتماعية التي هي بالضرورة، ممارسات تواصلية لغوية وثقافية.

ويمكن أن نقدم الأمثلة الآتية:

الموالاة، المعارضـة، أحزاب السـلطة، الشـيتة، الشـيتة لا دين لها، البهتان السياسي، المهماز، المنغاز، لم تلده أمه من ينافس الرئيس، البراحون، الطبالون، اللحاسـون، المفسـدون، السـيسـتام، الشـــفافية التامة، التزوير، الانتخابات، التحالف الرئاســي، الجدار

الوطني، لا ينكر المنجزات إلا جاحد، الاستمرارية ، الاستقرار ، الجيش خط أحمر...

لا بد من ملاحظة أراها مهمة في هذا المقام، وهي أن الطبقة السياسية في الجزائر وبخاصة السلطة الحاكمة... لا تملك تكوينا عميقا بالعربية بصفة خاصة، وحتى بالفرنسية. وبناء على ذلك فهي لا تملك ايضا حسا ثقافيا راقيا وعميقًا يمكنها من التواصل الفعال مع الرعية، والتكيف مع الأوضاع وحسن التدبير فيها. **الأمر الذي جعل اللغة تعرف معهم أزمة كبرى في الاستعمال وحسن التوظيف حسب الحاجة ومقتضيات التخاطب. فأدى ذلك إلى قطيعة عميقة، أدت –بدورها– إلى قطيعة مضاعفة هي: فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم.**

فكل ما يصدر عن السلطة الحاكمة في نظر المحكوم غير صحيح وحتى إن كان صحيحا فهو متوجس منه خيفة.

وذلك ما حدث مع كثير من الوزراء في قطاعات مختلفة: الصحة، التربية، الثقافة، الشؤون الدينية، التعليم العالي، رئاسة الحكومة...

«وعرفت اللغة أزمتها الكبرى، وأصبح مشروعا أن يشك الجميع في علة وجودها إذ لم تعد وظيفتها أن تدل على الأشياء بحسب المواضعات والأعراف؛ وإنما أصبحت وظيفتها ألا تدل...»[15].

لقد كانت اللغة هي الضحية الأولى وبخاصة أن هنالك تعبيرا جزائريا شائعا بين أوساط المسؤولين وهو: "**أنا لا أعرف اللغة**" يقصد العربية، وكأنه يقلل من اللوم عليه؛ لأن الأمر يتعلق بالعربية لا بلغة أخرى، وذلك مسموح به. بل كأن في ذلك نوعا من التباهي !! والذي لا يعرف اللغة هو –في الحقيقة– لا يعرف شيئا.

أمام تعدد هذه القطائع تدنى الخطاب السياسي، في نظري ولعل ذلك ما يؤكده هذا المثال:

«وعندما يتدنى الخطاب السياسي أسفل سافلين. ويصير مقيتا مقرفا عفنا على، ألسنة كائنات غريبة بليدة عمياء، مصابة بعمه ذهني وحصر نفسي. فلهذا البلد الله سبحانه وتعالى ونعم به وكيلا».

يلخص هذا النوع من الخطاب مأساة الخطاب السياسي والدرجة المتدنية التي وصل إليها عند المثقفين[16] بل وعند الطبقات الاجتماعية الأخرى التي لم تجد فيه ما يفيدها. ونلاحظ ما فيه من أوصافٍ قاسية بكلماتٍ منظومة في نسقها اللغوي بشكلٍ متتالٍ لافتٍ للنظر مثل: "ويصير مقيتًا مقرفا عفنا"، و"كائنات غريبة بليدة عمياء، مصابة بعمه ذهني وحصر نفسي...". **إنها كلمات تعري واقعا وتفضح ممارسات. إنها كلمات كأنها صفعات متتالية لمتكلم بليد لا يفقه من حوله وما حوله.** بل وأكثر من ذلك صار من المؤشرات السيئة المؤذية الملوثة للبيئة المحيطة، وذلك ما نقرأه في النموذج الآتي: "يرجى من السياسيين التقليل من الكلام حفاظاً على البيئة. أما نحن فقد اختنقنا". ونشدد على المخزون الدلالي الذي تحمله عبارة: "**أما نحن فقد اختنقنا**". فالناس لم يعودوا يهتمون بالشأن السياسي وهجروه؛ لأنه لم يعد يطاق أو يحتمل وإنما يؤدي إلى الاختناق، ويترتب على ذلك هجره والنفور منه وذلك ما يبرز في ممارساتهم ومواقفهم.

يمكن أن نشير إلى ثلاثة محاور، من حيث خصوصياتها وارتباطها ببعض، نراها مهمة في التحليل وهي: **محور المعرفة ومحور السلطة محور الأخلاق.**

تشير مختلف الصيغ عند ميشال فوكو M. Foucault إلى تعقيدات داخل كل محور من هذه المحاور، فبينها تداخل، وهذا يحتوي ذاك، ولهذا يمكن ربط فهمنا للنصوص بهذه المحاور الثلاثة وما يترتب عنها من معنى بالنظر إلى عدد الفئات في النظريات الاجتماعية، ما يطلق عليه "بوردو P. Bourdeau" **المحيط الألوف** للأشخاص المشاركين في الحدث؛ أي استعداداتهم المجسّمة لرؤية المسائل المختلفة، وكيفيات التعرف استنادا إلى انخراطهم في المجتمع وتجربتهم، ويتضمن ذلك التكلم والكتابة بأساليب محددة. [17]

وهكذا فإن لغة التواصل الاجتماعي تتعلق **بمحور المعرفة**؛ أي الأسس المعرفية والخلفيات الإيديولوجية لدى المستعملين للغة وكيفيات استعمالها وتوظيفها حسب المقام.

وتتعلق **بالسلطة** الفاعلة في الحدث السياسي والمنفعلة به. وما ينتج عن ذلك من وجهات نظر يتم تبادلها، ومن إبداء آراء معينة والاحتجاج بها والدفاع عنها. ومن نقد يوجه إليها سلبا أو إيجابا.

وتتعلق بمحور مهم جدا هو: **الأخلاق** وما تقتضيه من مبادئ ومثل وقيم في السلم الاجتماعي تفرضها الممارسة السياسية بوصفها ممارسة اجتماعية.

تتميز لغة الخطاب السياسي في بلادنا بالتعبير عن هذه المحاور الثلاثة حسب المستعملين للغة، وحسب مرجعياتهم الإيديولوجية شأن أي خطاب سياسي. غير أن هذه المرجعيات قد تكون ضيقة لا تستوعب الآخر إلا قليلا نادرا؛ وإنما يهيمن عليها: **الإلغاء** لا الحوار المؤسس على الأخلاق السياسية.

ولعل هذا ما أسهم في تدني الخطاب السياسي عندنا بوصفه ممارسة لغوية اجتماعية، شانه شأن الممارسات الأخرى في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية. **وربما يعود ذلك لكونه يفتقد إلى قاعدة ثقافية يتأسس عليها وتسهم في صناعة توجهاته.**

يطول الحديث عن الخطاب السياسي في وسائل التواصل الاجتماعي، ويمكن أن يكون بحثا بل أبحاثا وحده، ولذلك نكتفي بالحديث عنه، ونشير إلى لغة خطابات أخرى نراها مهمة هي أيضا مثل:

ثانيا– لغة الخطاب الإعلامي:

نعد الخطاب الإعلامي من أهم الخطابات في المجتمع؛ فهو خطاب فاعل مؤثر في غيره من الخطابات، ومنفعل متأثر بها في الوقت نفسه.

تنتجه مؤسسات إعلامية (وكالات، قنوات، صحف،...) وأشخاص مهتمون بالإعلام بصفة عامة، وصحفيون متخصصون في شأن من شؤونه. وظيفته نشر الأخبار عبر الزمان والمكان بين الأفراد والمؤسسات.

وهو أيضا ممارسة لغوية اجتماعية لها خصوصياتها، مرتبطة بالأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

يتداخل الخطاب الإعلامي بالخطاب السياسي إلى الدرجة التي يصعب التفريق بينهما أحيانا؛ إذ الحدث السياسي يصير أخبارا يتجلى في لغة إعلامية تخصه، وإذ الحدث الإعلامي يصير فعلا سياسيا في أحايين كثيرة، وكلاهما حدث اجتماعي.

يجد المتتبع للغة التواصل الاجتماعي في وجهها الإعلامي كثيرا من الاستعمالات اللغوية المرتبطة بحدثها.

ويمكن أن نقدم الأمثلة الآتية:

أ– "عنابة: وعود المسؤولين تحققت: مسبح في كل حي".

ب– "احنا اللي في الصيف الروحو للبحر، وفي الشتا يجي عندنا".

ج– "العيب ليس في هؤلاء الموقع بهم... ولكن العيب في قناة
'الانهيار' و'الصرف الصحي'، والقنوات الأخرى التي تشجع
الرذيلة".

د– "إذا قلت منشط تلفزيوني، إنه تافه. فقد مدحته ومكنته
من ربح مشاهد إضافي... التجاهل مشاهدة وتعليقا هو الكفيل
بزوال نقيق الضفادع الذي يرتفع من خلال ارتفاع نسب المشاهدة".

عندما نتأمل هذه الأمثلة وهي غيض من فيض نلاحظ أنها:

- تنطق سياسة وتتلبس بلبوسها، وتكشف الحقائق المخبوءة، لغة وصورة منطوقة بالحث كما هو.
- وتقدم نقدا لاذعا ساخرا لواقع لا يمكن التستر عليه؛ وإنما تعريته والاحتجاج عليه.
- وتبين نوعية الخدمة الإعلامية المقدمة للمواطن من لدن وسائل الإعلام الرسمي والخاص الذي من المفروض أنه إعلام ديمقراطي حر، هدفه أولا وأخيرا النهوض بما يحتاجه الوطن والمواطن من خدمة

إعلامية، تمكن الفاعلين الاجتماعيين في الاقتصاد والثقافة والسياسة والجامعة من صياغة مستقبل وردي واعد لبلد مثل الجزائر.

- وتكشف عن ضعف الأداء مقابل تضخم في الخطابة والإيديولوجيا، وكَيْلِ المديح إلى درجة تقديس العادي وتوثين الخطاب.
- ولكن ما زال إعلامنا بعيدا عن «عناصر المنطق الجوهري للصناعة الثقافية الجديدة... بما يتجلى في **مفاصل السياسة** (حريات القول والتعبير والانتماء). **والاقتصاد** (حريات الاستثمار وتحويل البضائع ورؤوس الأموال). **والثقافة** (حريات التفكير والإبداع والتعبير عن الهويات المختلفة)».(18)

ولما وجد المواطن الجزائري في وسائط التواصل الاجتماعي وسيلة متوفرة اتخذها **متنفسا للتعبير عن همومه السياسية والاجتماعية، ووسيلة للدفاع عن حاجاته وحقوقه** ومنها: الحق في المعرفة الحقيقية الصادقة للمعلومة والدفاع عن نفسه بالنقد وفضح المستور، وإظهار الواقع كما هو بنقائصه.

نشير في هذا المقام إلى أنه كثيرا ما توصف المعلومات في وسائل التواصل الاجتماعي بغير الموثوقة، وأنها لا تتحرى الحقيقة، وتقوم بفبركة المعلومات والأخبار... ولذلك يتم الاحتجاج عليها والعمل على تكذيبها. وإذا كان ذلك فيه بعض من الصحة، فإنه لا ينفي مصداقية المعلومات التي تنقلها وسائل التواصل الاجتماعي، وبخاصة أنها كثيرا ما تكون معززة بالصورة الناطقة بالحقيقة المصورة للواقع كما هو دون تحريف، مما يرفع نسبة تداولها لدى مستعمليها.

وذلك ما نقرأه في هذا المثال عن فيضانات عنابة:

"وعود المسؤولين تحققت: مسبح في كل حي" مع الصورة المعززة للغة التي تحمل خطابا ساخرا من المسؤولين ووعودهم، وقد تجلت واضحة في العبارة: "مسبح في كل حي"؛ فمعظم أحياء عنابة غرقت في الفيضانات، وصار من غير الممكن الخروج لأداء الوظائف المختلفة من لدن السكان، بالإضافة إلى الأخطار المترتبة عن ذلك.

يوجد ذكاء في توجيه العبارة يحمل نقدا لاذعا للمسؤولين المحليين بخصوص هشاشة البنية التحتية الخاصة بالعمران في أحياء المدينة. وقد تعدى ذلك إلى مدن أخرى غير مدينة عنابة؛ مما فتح المجال للاستثمار السياسي.

ويتضافر ذلك مع النموذج الآتي: "احنا اللي في الصيف الروحو للبحر وفي الشتا يجي عندنا"؛ فقد قدم المحتوى نفسه والنقد نفسه وكذا السخرية من الوضع ولكن بطريقة مختلفة، وبلغة مختلفة هي الدارجة من حيث بساطة الكلمات المختارة، وهي كلمات مألوفة لدى المتحدثين، ولكنها ذات دلالات قوية، وكفاءة عالية في التعبير عن الحدث بالنظر إلى السياق اللغوي الذي انتظمت فيه، والمؤسس على هذه المقابلة:

احنا اللي في الصيف الروحو للبحر ≠ وفي الشتا يجي عندنا

فإذا كان الذهاب إلى البحر في الصيف مسألة عادية من أجل الاستمتاع والاستجمام. فإن الأمر ليس كذلك في العبارة الثانية "وفي الشتا يجي عندنا" ليغرقنا ويسبب لنا المعاناة. وكل ذلك يبين مفارقة أو واقعا مقلوبا.

إن اللغة في النموذجين فصحى ودارجة تحمل من الناحية المعرفية نكتة بلاغية تصورية ذهنية تدين وضعا تنمويا متدهورا، وتؤكد التقصير المؤسسي الحاصل.

تكون وسائط التواصل الاجتماعي –بهذا– بديلا إعلاميا جماهيريا محاكيا «لبنية الذهن الإنساني في استلام المعطيات الإعلامية ومعالجتها قصد إعادة تأليفها وبثها بالكيفية المنسجمة مع مقاصد المضمون»(19). وبخاصة في ظل احتكار وسائل الإعلام الثقيلة من لدن السلطة الحاكمة لخدمتها والغفلة –غالبا– عن احتياجات الجماهير للتعبير بحرية وصراحة. وهو النقد الذي نقرأه في النموذج الآتي رقم "ج":

"العيب ليس في هؤلاء الموقع بهم... ولكن العيب في قناة 'الانهيار'..."

يتوجه الخطاب إلى وسائل الإعلام المختلفة، ويبدأ نقده لها باختيار كلمة "**عيب**" وما تحمله من دلالة لها امتداد في الموروث الشعبي والثقافي، التي ينفيها عن المترشحين للرئاسيات؛ لأنه –في نظره– قد تم التغرير بهم، وإيقاعهم في مقالب، والسبب في ذلك القنوات الإعلامية التي يقصدها. مؤكدا أن العيب كامن فيها، لأنها موظفة لأداء مهام مشبوهة. ثم يصفها أوصافا قاسية "قناة الانهيار، والصرف الصحي، والرذيلة الإعلامية"؛ **أي أن وظيفتها: التهديم عوض البناء، والقذارة عوض النظافة، والرذيلة عوض الفضيلة.** وما تحتاجه من الأخلاق الإعلامية المطلوبة في تغطية الأحداث ونقلها بحياد, وكأنه يقصد قناة إعلامية محددة.

وكل هذا قد ولّد قطيعة في نسق التواصل بين الوسيلة أو الوسيط الإعلامي، وبين الجمهور المتلقي للأخبار الذي فقد ثقته في مصداقية ما يتلقاه.

نقرأ في النموذج "د" رأيا مكملا لسابقه وهو حديثه عن تفاهة المنشط التلفزي، والدعوة إلى تجاهله حتى بوصفه بالتفاهة فذلك يدخل في باب مدحه ويزيد من شعبيته.

وإذا كان النموذج "ج" قد أدان الوسيلة الإعلامية فإن **النموذج "د"** يدين المنشط التلفزي بصفة خاصة؛ لأن التلفزة وسيلة إعلامية ثقيلة في التأثير على الرأي العام.

وقد بدأ حديثه هكذا: "إذا قلت منشط تلفزي..." واصفًا إياه بقوله: "إنه تافه"، ويأتي جواب "إذا" مؤكدا أن في ذلك مدحا له وهو: "**التجاهل مشاهدة وتعليقا**" وهو الحل الذي رآه يؤثر على نسبة مشاهدته، ويقلل من شهرته وشيئًا فشيئا يطاله النسيان، **ويزول نقيق الضفادع كما وصفه.**

تبين النماذج التي رأيناها كلها، قدرة المستعملين للتواصل الاجتماعي على تمثل محتويات الواقع من الناحية الذهنية التصورية والوعي بها واستيعابها، وتحليلها وصياغة النقد الملائم لها.

والقدرة أيضا على نقلها وتحويلها من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل.

ويتجلى من الناحية اللسانية في الوحدات المعجمية والتركيبية والأسلوبية التي تناسقت فيها لغة فصحى ودارجة، لتعبر عن أشيائها الخاصة وعن الحاجات الاجتماعية الضاغطة التي تحتاج إلى حلول صحيحة ودائمة.

يستخلص القارئ للغة التواصل الاجتماعي بخطاباتها المتنوعة أنّ الإنسان الجزائري قد تولدت لديه قناعة بأنه «من قبيل اللامفكر فيه» بعبارة ميشال فوكو[20]. من لدن السلطة الحاكمة منذ الاستقلال، وقد ازدادت عمقا الآن. فليس هناك من فلسفة أو خيار سياسي أو أخلاقي اتخذه مشروعاً مؤسسا على مشروع ثقافي واجتماعي حقيقيين.[21]

ثالثا– لغة الخطاب الأدبي:

يتخذ هذا الخطاب حيزا له في التواصل الاجتماعي مهما شأنه شأن الخطابات الأخرى، ويتميز من حيث لغته بالمحافظة على ما تقتضيه اللغة الأدبية في التعبير من حيث المعجم والتراكيب والأساليب البلاغية. فهي لغة عابرة للدلالات المتنوعة، حاملة لطاقات مجازية على توليد الدلالة، تتسع لمعانٍ غير محدودة. وتلك خصوصية من خصوصياتها التي ترسم بها حدودها الفارقة عن لغة الخطابات الأخرى. وتتمثل في التواصل الاجتماعي في الأشعار المتنوعة قديما وحديثا، فقد نجد أبياتا ومقطوعات وقصائد كاملة لشعراء مثل: المتنبي أو أبي تمام... من القدامى. أو عبد الله البردوني أو نزار قباني... أو غيرهما من المحدثين. كما نجد بعض السرود والحكايات والقصص وبعض المقالات والآراء والمحاورات النقدية التي يكتبها بعض المستعملين للتواصل الاجتماعي.

وقد اخترت هذا المثال الذي ظهر أول مرة في الفايسبوك في شكل فيديو مصور:

بالأمس عائشة واليوم عياش
كلاهما آسفا يرثي لمن عاشوا
موتوا بقطرة سم مثل عائشة
أو فاصبروا... وجميع الناس عياش
ونحن في وطن عاشت مآثره
لكننا فيه أفراخ وأعشاشُ
يموت فينا الضحى تبكيه زنبقة

وليس يبكي على النسرين خفاش

يا كبش شعبك كم من حوله عبثا

عاشت ذئاب وكم قد مات أكباش

قد حاول القوم لكن عزّ مطلبهم

لا عاش في وطن الأحرار غشاش

الناس حولك حول البئر جاثية

قلوبهم فتسابيح وإجهاش

يصيح شيخاك هل في البئر من خبر

لا شيء غير الصدى والهم نهاش

ولمت الشمل أم الشمل والهة

وتاب لله أبرار وأوباش

كن يوسف الجب أخرج للملأ أملا

فأنت وحدك للآمال إنعاش

كم كنت تشرب من بئر فمعذرة

إن كان قد شربتك البئر عياش

إن متّ غضا وما في الكف غير عصا

فقد مات جدك في كفيه رشاشُ

إن لم تعد فسقاك الله كوثره

وشيعتك إلى الفردوس أعراش[22]

نشير إلى أن هذا الشعر قد ارتبط بحدث Evènement محدد هو: "**سقوط عياش في البئر وموته فيه**"، ويرتبط هذا الحدث **بلحظة خطابية** Un moment discursif **محددة، ولّدت ردود أفعال كثيرة.**[23]

اتخذ فيها البعد السياسي نصيب الأسد. فقد دامت هذه اللحظة الخطابية مدة زمنية، وحدثا زمنيا إعلاميا تواتر في منابر إعلامية عديدة، مكتوبة مقروءة، ومرئية بصرية مسموعة. أدى ذلك إلى **ممارسات خطابية** Des pratiques discursifs[24] سياسة وإعلاما وأدبا.

وتلك الممارسات الخطابية التي تشكلت على الفضاء الأزرق "الفايسبوك" **تمثل وجها من وجوه الإيديولوجيا** التي هي جملة المكونات الخفية المتجذرة خلف كل الخطابات بأشكالها وتنوعاتها في وسائل التواصل الاجتماعي، في السياسة والإعلام والأدب والتربية وغير ذلك.

«إن النتائج الإيديولوجية هي أحد أنواع النتائج التي تسببها النصوص، والتي تحظى باهتمام التحليل النقدي للخطاب: تأثير النصوص في تثبيت الإيديولوجيات أو دعمها أو تغييرها»[25] ويمكن الإبانة عن إسهامها في إقامة العلاقات الاجتماعية بين المتواصلين الاجتماعيين؛ من حيث المواقف والمواقع والمعتقدات... التي تتخذها المجموعات الاجتماعية.

ولقد أسهم هذا النص الشعري في الرفع من منسوب الإيديولوجيا وتحريكها وتفعيلها بالعزف على أوتار متعددة، تتحسس نقاط ضعف المجموعة/المجموعات الاجتماعية التي تشكلت في الواقع حول البئر الذي سقط فيه عياش، ومارست التعبير عن ذلك على الفايسبوك. فقد ربط الشاعر **حدث عياش** بحدث آخر قبله هو **موت الأستاذة الجامعية عائشة بلسعة عقرب في ورقلة**. وتم تحميل وزارة الصحة المسؤولية، وبخاصة أن السيد الوزير لم يحسن التعبير عن الحدث ومقامه، حين وصف العقرب بالمسالم. فأدى ذلك إلى تأجيج الرأي العام الشعبي وبخاصة الطبقات الهشة وذلك بالرغم من اجتهادات الوزير في شرح مقصوده.

فقد قال الشاعر:

بالأمس عائشة واليوم عياش

كلاهما آسفا يرثي لمن عاشوا

موتوا بقطرة سم مثل عائشة

أو فاصبروا... وجميع الناس عياش

إن "عائشة" بوزن "فاعلة" وإن "عياشا" بوزن : "فعّالا" ولكنهما صيغتان صرفيتان فقط لم تغيرا من الواقع شيئا، فقد ماتا

"والذين ما زالوا أحياء جميعا مثل عياش وعائشـــة، أحياء أموات"، بالرغم من أن الوطن الذي يعيشـــون فيه له تاريخ وله مآثر ولكنهم فيه "أفراخ وأعشاش" لا غير، وأن "النسرين لا يبكيه خفاش"، وما أكثر الخفافيش، وأن عياشـــا يمثل كبش فداء للشـــعب الذي كثر العبث من حوله، وكثرت الذئاب.

ثم يشير الشاعر إلى التاريخ؛ تاريخ الثورة بقوله:

إن متّ غضا وما في الكف غير عص

فقد مات جدك في كفيه رشاشُ

مشـيرا إلى أن عياشـا من عائلة الشـهداء البسـطاء الذين استشـهدوا من أجل الوطن. وأبناؤهم وأحفادهم البسـطاء يعانون اليوم الحرمان والحاجة.

إن هذا النص الشعري –هو في الحقيقة– نص سياسي بالنظر إلى المحتوى الذي مرره نحو الجمهور المتلقي للشـــعر وللخبر أيضا. فهو لا يخلو من مسحة إعلامية وسياسية في الوقت نفسه.

لقد كان هذا الشـــعر بالغ التأثير؛ وقد كان في شـــكل "فيديو" مصـــور، ناطق باللغة الشـــعرية، معبرا بها بكيفية لافتة للانتباه، نابضة بالحركة المفلعة للأداء الشعري المؤثر.

رابعا– لغة الخطاب الديني:

تحضـر –هي الأخرى– بكثافة في شـكل أدعية ومواعظ وأحاديث، والاستدلال على ذلك بالآيات القرآنية الكريمة اللازمة.

وتبـدو أحيـانا في شـــكل أقوال مـأثورة وحكم وأمثـال وقصـــص، يســـتخلص منها المتلقي عِبَرًا وقيما أخلاقية تدفعه إلى المحافظة على العبادة والتقوى والاســـتزادة منها، والمداومة على فعل الخير والاستمرار فيه، واحترام الوالدين والبر بهما.

ومـا يهمنـا في هـذا النوع من الخطـاب لغتـه المتميزة – غالبا– بالدقة وحسن التعبير عن المقصد بكفاية؛ فهي لغة فصحى تحمل محتويات دينية مهمة. لكنها تُتَّخَذُ للإغراء –أحيانا– باتباع سلوكاتٍ معينة لتحقيق فوائد محددة مرغوبة، والاستناد إلى خلفيات فكرية، وســـلطة روحية ترفع من درجة الوثوق به، والحرص على تنفيذه.

يمكن أن نقدم في هذا المقام المثال الآتي:

"اللّهم إني اســـتودعتـك وطني [الجزائر] أهلهـا وأمنهـا وأمانها، ليلها ونهارها، أرضـها وسماءها وإسـلامها، وأن تحفظ بلادنا من الكوارث والمحن، وأن تجعل أمطارها غيثا نافعا يروي الأرض، ويسقي الزرع، ويطهر القولب، وإننا نسألك يا الله قبل كل سحب قادمة خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرســـلت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به".

هذا دعاء يبدو أنه مختلف عن الأدعية المألوفة من حيث مقامه وموضوعه وهدفه. يظهر ذلك في لغته التي يتضرع بها إلى الله بأن يحمي الوطن/الجزائر وأهلها، ويحقق أمنها في المكان والزمان، وأن يحفظ الدين.

ويبدو أن هذا الدعاء قد ارتبط بحدثٍ صار يلفت انتباه الجزائريين في هذه السـنوات الأخيرة، وهو الفيضـانات التي سـببت كوارث في أكثر من مدينة. ولذلك جاءت لغته معبرة عن مقامها، مرتبطة بحدثها مثل: "أن تجعل أمطارها غيثا نافعا يروي الأرض ويسقي الزرع..." إلى آخر الدعاء.

لم يرتبط هـذا الـدعـاء بشـــخص أو جهـة، وإنما ارتبط بالوطن. وحب الوطن من الإيمان. فهدفه من هذه الناحية يرمي إلى الوحدة والائتلاف بين المواطنين، متوجها بالدعاء إلى الله ســـبحانه وتعالى.

وانطلاقا من هذه المرجعية الدينية لعله يرفع معامل التأثير في الدعوة إلى الإجماع حول الوطن.

لقد حاول صـــاحب هذا الدعاء أن ينقل الممارســـة الاجتماعية للأدعية الدينية المتنوعة السـائدة والمعروفة إلى نمط آخر أو ممارسـة اجتماعية جديدة، محولا إياها في إطار سـيرورة اجتماعية محددة، تسمى في علم الاجتماع التربوي بـ **"تجديد السياق"** الذي يمكن تفعيله بشـــكل منتج في إطار تحليل النص والخطاب، ليتخذ شكلا للتوجيه في ممارسـة الأدعية وتوجيهها نحو هدف سامٍ جامع محقق للوحـدة هو الوطن بمـا تحملـه كلمـة الوطن من مفعول في الذاكرة الفردية والجماعية.

يعني هذا أن من يمارس الأدعية بهذا المنظور، يعمل على المحافظة على العلاقة الطيبة بينه وبين من يتعاملون معه في المجتمع، لكي تستمر، باعتبارها دليلا على أنهم يُقدرون الثقة والتفاعل المتبادل.

ويمكن أن يتخذ هذا التقدير شكلَ ممارسة فيها اعتراف متبادل مع الآخر، واعتبار الكل ذاوتا مترابطة[26] تسهم بإيجابية في بناء المجتمع. وهذا ما ينبغي أن يكون، ولكن ما هو كائن بالفعل قد يكون مختلفا.

خامسا– لغة خطابات أخرى:

تتمثل في التوعية التربوية والصحية والسلامة المرورية، والتغذية، وقضايا أخرى... بما في ذلك الترفيه والمبادلات التجارية، والتنبيه إلى المحتاجين والفقراء في معيشتهم وحاجاتهم المتنوعة. ولكل من هذا لغة تخصه تتجلى في شكل خاص من الخطاب في التواصل الاجتماعي؛ بحيث تبرز من خلاله الفوارق الاجتماعية، **وكيف تؤثر في الأداءات اللغوية وتجعلها في سجلات خاصة**. من ذلك مثلا:

أ– "صحاباتي يضحكو عليَّا... يقولولي ريحة الدخان فيك... قشك مقطع، وباباك مهبول... مرة ناكلو وعشرة ما ناكلوش".

ب– ماتت الرجولة في الجزائر عندما أصبحت الأم تموت عند نسيبها. وهي جايبة شحال من بغل".

يمثل النموذج الأول صرخة طفلة... ذنبها الوحيد أنها فقيرة... بل فقيرة تحت خط الفقر كما بينته الصورة الموضحة للطفلة وعائلتها. فهي صورة ناطقة بالهم والمأساة، وبلغة دارجة تصف حالتها بدقة في البيت والمدرسة.

اللغة هنا هي أقرب إلى الذات المعبرة من اللغة الفصحى. وتُظهِر المستوى الاجتماعي للطبقة التي تنتمي إليها الطفلة والعائلة.

كأنها وهي تتلفظ بتلك الكلمات تشعر بالتلاشي، وكأن الكلمات تحاصرها وتسيطر عليها لتخرج بالرغم منها وتعبر بدلا عنها.

وأما النموذج الثاني فيطرح مسألة اجتماعية أخلاقية في الوقت نفسه، بترسانة من الكلمات ذات القوة الدلالية العالية المتسلطة على نقاط ضعف المتلقي. تتعلق بالأم التي تنجب الأولاد الذكور ويتخلون عنها لتموت عند "نسيبها". وفي ذلك حط من القيمة من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والدينية؛ فذلك يعني تخلي أولادها عنها والتفريط فيها وهو الذي يجب ألا يحصل ولذلك ختم الخطاب بهذه العبارة: **"وهي جايبة شحال من بغل"**.

تعد كل الكلمات المكوّنة لهذا النموذج، وحدات لغوية مدمجة في وحدة لغوية أكبر، هي هذا الخطاب. فلا يمكن أن تكتسب أي وحدة لغوية قيمتها إلا بانتظامها في سياقها اللغوي بكيفية مترابطة لغويا، ومنسجمة من حيث منطق الأفكار، فتتحقق –بذلك– المقولة العربية المتداولة: "لكل مقام مقال".

إن اللغة هي التي تخلق المجموعة البشرية وتعبر عنها، وتعد لغة التواصل الاجتماعي «وجها من أوجه التفاعلات الاجتماعية التي يتكون منها ما به يكون الإنسان إنسانا وهو: الفعل الاجتماعي».[27]

ويمكن أن نضيف إلى كل الخطابات المذكورة **خطاب الصورة**؛ فهو عالم متفرد بذاته في التواصل الاجتماعي، له لغته الخاصة التي تسرد وتحكي وتبوح وتخفي، وتصور وتُدين، وتخاطب بأنواع عديدة من الصور:

الصورة الثابتة والصورة الحقيقية المرتبطة بشخص مثلا في أحوال ومقامات محددة.

والصورة الومضة المتعلقة بقضايا خاصة وعامة، والفيديوهات، والصورة المتعلقة بالطبيعة والصورة الكاريكاتيرية...

تتميز الصورة في التواصل الاجتماعي بالثراء والفاعلية في التبليغ والتواصل وتحقيق الإفادة للمتلقي تبحث في تفاصيل حياته اليومية بما تحمله من صفات الخير أو الشر، والراحة أو المعاناة.[28]

إن كل هذه التنوعات في الخطاب وأشكاله في التواصل الاجتماعي؛ إنما تبرز السلوك الذي يمارسه المتحدثون باللغة مشافهة وتحريرا للتعبير عن أغراضهم وحاجاتهم داخل النسيج الاجتماعي الذي ينتمون إليه. ولذلك فإن خطاباتهم لا توجد خارج الاجتماعي؛ وإنما توجد داخله بوصفه مضامين ومحتويات، وباعتباره

محددا لسمات الخطاب وشكله وبنيته وللتحولات التي تتعلق به.(29)

نشير في هذا المقام، إلى المعالجات الوظيفية للغة التي شددت على وظائف النصوص المتعددة، منها مثلا منظور هاليداي M. Halliday الذي صنف الأغراض والوظائف المختلفة التي تؤديها اللغة، حاصرا إياها في الوظائف الآتية:

- الوظيفة الفكرية Ideational
- الوظيفة التبادلية/التواصلية Interpersonal
- الوظيفة النصية Textual

ويعني ذلك أن النصوص والخطابات تمثل جوانب من العالم المحسوس والعالم الاجتماعي والعالم العقلي، وتجسم العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الأحداث الاجتماعية وكيفية التعبير عنها، ومواقفهم ورغباتهم وقيمهم. كما تقيم ترابطا وتماسكا بين أجزاء نصية وأخرى، وتصل بين النصوص والخطابات ومقاماتها وما تقتضيه من سياقات لغوية خاصة. يعني هذا أن الناس يقومون بهذه الأشياء ضمن سيرورة صناعة المعنى في الأحداث الاجتماعية، ويشمل ذلك نسج النص وصناعته.(30)

خاتمة:

تستطيع أن تعرف المجتمع ومكيف يتحرك من خلال ما يتضمنه الفايسبوك من محتويات معرفية متنوعة متعلقة بكل الفئات الاجتماعية في اختياراتها السياسية، واتجاهاتها الفكرية والإيديولوجية المؤطرة لها. وفي احتياجاتها الاجتماعية، ومقتضيات الحياة اليومية من مشكلات مزمنة أو طارئة، وحتى في الجانب الترفيهي، وكيفيات التواصل بين الأفراد حسب طبقاتهم الاجتماعية، وما تحتاجه من استعمالات لغوية مناسبة للمقام؛ إذ لكل طبقة كلامها. أو كما قال الجاحظ: «وكلام الناس في طبقات كما الناس أنفسهم في طبقات».

فكلام الطبقة المثقفة يختلف عن كلام الطبقة العادية من المواطنين البسطاء المشغولين بهموم الممارسة اليومية للحياة وأعبائها.

يلاحظ المتتبع للغة التواصل الاجتماعي أنها لغة متنوعة بين اللغة العربية الفصحى واللغة اليومية الدارجة والجمع بينهما في استعمالات محددة حسب الحاجة. وبين اللغة الفرنسية وإن كانت قليلة مقارنة بالفصحى والدارجة.

تسقط المقولة الشائعة عند البعض من أنّ الفايسبوك وسيلة ترفيهية تهريجية يستعملها الشباب الطائش، وتحل محلها مقولة أخرى تشدد على أن هذه الوسيلة يستعملها الناس جميعا كل في مقامه وطبقته الاجتماعية للتعبير عن أغراضه المتعددة في المؤسسة الاجتماعية. فيستعملها المثقفون النخبويون والساسة ورجال الإعلام والدعاة للوصف والتحليل والتقد والتوجيه والتقويم وإصلاح الحال، وتنظيم الحياة بصفة عامة، وتبادل الآراء لكونها وسيلة تعبير حرة يصعب التحكم فيها.

ولكونها صارت وسيلة دفاعية لها قيمتها واعتبارها في التغيير والتطوير، تحارب الإلغاء والغلق والتضييق.

. قائمة المراجع:

• الكتب:

1- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2002.
2- حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، تونس، ط1، 2005.
3- خليفة الميساوي، قراءة القرطاحني في ضوء نظرية تحليل الخطاب الحديثة، ضمن الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث اللغوي والأدبي في الدراسات الحديثة، بحوث علمية محكمة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2014.
4- صوفي موارون، ملاحظات وتحليل وفهم خطاب الصحافة اليومية، ترجمة: عبد الحميد جحفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2009.
5- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1989.
6- عبد السلام حيمر، من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط1، 2008.
7- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2007.

8- فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ترجمة: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

9- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009.

10- Jaques Guil Haumo, Ou va l'analyse de discours ? Autour de la notion de formation discursive, http://corp.vivues.org/documes320 html.

• **المقالات**:

1- أحمد بن راشد بن سعيد، قوة الوصف، دراسة في لغة الاتصال السياسي ورموزه، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد32، 2003.

2- محمد الأمين مومين، مقدمات في السوسيولسانيات: التأويل الاجتماعي للغة، مجلة بصمات، العدد1، جامعة الحسن الثاني، بنمسيك، المحمدية، المغرب، 2006.

3- 3محمد شكري سلام، ثورة الإعلام والاتصال: من الإيديولوجيا إلى الميديولوجيا، مجلة عالم الفكر، المجلد32، العدد1، الكويت، 2003.

الهوامش

1- محمد شكري سلام، ثورة الإعلام والاتصال: من الإيديولوجيا إلى الميديولوجيا، مجلة عالم الفكر، المجلد32، العدد1، الكويت، 2003، ص82.

2- المرجع نفسه، ص82.

3- ينظر: محمد الأمين مومين، مقدمات في السوسيولسانيات: التأويل الاجتماعي للغة، مجلة بصمات، العدد1، جامعة الحسن الثاني، بنمسيك، المحمدية، المغرب، 2006، ص150-151.

4- خليفة الميساوي، قراءة القرطاحني في ضوء نظرية تحليل الخطاب الحديثة، ضمن الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث اللغوي والأدبي في الدراسات الحديثة، بحوث علمية محكمة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2014، ص284-285.

5- ينظر: فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ترجمة: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص14.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص29.

7- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009، ص20.

8- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص17.

9- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة: طلال وهبة، ص28.

10- أحمد بن راشد بن سعيد، قوة الوصف، دراسة في لغة الاتصال السياسي ورموزه، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد32، 2003، ص211.

11- ينظر: المرجع نفسه، ص211.

12- المرجع نفسه، ص211.

13- مصدر هذه الأمثلة التواصل الاجتماعي، وقد اخترت ألا أقدم أسماء أصحابها؛ لأنهم يرمزون برموز لا تبينهم ولا تظهر هويتهم غالبا.

14- أحمد بن راشد بن سعيد، قوة الوصف، دراسة في لغة الاتصال السياسي ورموزه، ص215.

Jaques Guil Haumo, Ou va l'analyse de discours ? Autour de la notion de formation discursive, p 5, 6, 7, 8, http://corp.vivues.org/documes320html.

وينظر أيضا: حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، تونس، ط1، 2005، ص8-9.

25- ينظر: نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة: طلال وهبة، ص35.

26- ينظر: المرجع نفسه، ص77.

27- عبد السلام حيمر، من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، ص24.

28- تصلح الصورة أن تكون بحوثا مستقلة في التواصل الاجتماعي.

29- ينظر: عبد السلام حيمر، من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، ص24 .

30- ينظر: نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة: طلال وهبة، ص66.

15- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2007، ص86.

16- محمد هذه النماذج لمثقفين اخترت ألا أظهر أسماء أصحابها تجنبا لأي حرج ممكن.

17- ينظر: نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة: طلال وهبة، ص69.

18- محمد شكري سلام، ثورة الإعلام والاتصال: مكن الإيديولوجيا إلى الميديولوجيا، ص84.

19- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2002، ص72.

20- عبد السلام حيمر، من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط1، 2008، ص173.

21- ينظر: المرجع نفسه، ص173.

22- الشاعر عبد الرحمن الأخضري.

23- ينظر: صوفي موارون، ملاحظات وتحليل وفهم خطاب الصحافة اليومية، ترجمة: عبد الحميد جحفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2009، ص12.

24- ينظر: